سكنى الروح القدس

القديس مار فيلوكسينوس

ترجمة نانسي مجدي

تقديم ومراجعة القمص تادرس يعقوب ملطي

القدّيس مار فيلوكسينوس

أسقف منبج

قائد روحي إنجيلي ولاهوتي فائق، كرّس الكثير من وقته لترجمة الكتاب المقدّس بعهديه إلى السريانيّة. وقام بشرح الأناجيل الأربعة. مارس النسك بفكر إنجيلي، متطلّعًا دومًا إلى عمل الروح القدس في داخل النفس. وهو أحد القادة الثلاثة العظماء[1] في مواجهة النسطوريّة التي أساءت إلى الاتّحاد الأقنومي بين ناسوت السيّد المسيح ولاهوته فجعلت منه شخصين. وقد سبق لنا الحديث عن سيرته وكتاباته ومنهجه وأفكاره، ونُشر عام ١٩٩٣م.

الآن بين أيدينا مقال رائع فيه يفنّد القدّيس القول بأن الروح القدس يفارق النفس عندما يخطئ المؤمن. في هذا المقال يفتح القدّيس باب الرجاء على مصراعيه أمام كل مؤمن، مهما كانت خطاياه، غير أنه يحذّر بكل شدّة من الارتداد عن الإيمان. فهو يعتقد أن من يجحد مسيحه بعد نوال العماد يفقد سُكنى الروح القدس فيه. وقد كان في الكنيسة الأولى تدبير حازم في عودة

---

[1] القديسون تيموثاوس أوليريوس بابا الإسكندرية وساويرس الأنطاكي وفيلوسينوس المنبجي.

الجاحدين الإيمان، مهما كان سبب جحودهم. مهما سقط المؤمن في الخطية، فإنه بالروح القدس الساكن فيه، وإن كان لم يتجاوب معه، يقدر أن يتمتّع بالتوبة. وهي من عمل الروح الذي به يستطيع المؤمن أن يصرخ أمام الآب، قائلاً: "أبانا الذي في السماوات".

يستوي الكاهن مع الشعب في الحاجة المستمرة للتوبة والتمتع بدواء الحياة "جسد الرب ودمّه". إذ لا يقدر الكاهن أن يقدّم جسد الرب ودمّه للعلاج ما لم يتناولهما أولاً، لأنه خاطئ مثل الشعب.

يحذّرنا الرسول بولس من أن نحزن الروح القدس الساكن فيه، فنكون كمن يغلق عينيه بجنونه فلا يرى. هذا ويشبه الروح القدس بنور العينين، إذ كانوا قديمًا يعتقدون أن العين بها شعاع نور داخلي يسقط على الأجسام الخارجيّة ويتّصل بالنور الخارجي فتصبح النفس قادرة على الرؤية.

هذا وإن عطيّة الروح القدس هي عودة الإنسان إلى الحياة في الرب بعد أن حُرم منها بالخطيّة. فالروح القدس هو حياة النفس.

القمص تادرس يعقوب ملطي

سؤال

أجاب القديس فيلوكسينوس ردا علي سؤال: **هل يفارق الروح القدس الإنسان إذا أخطأ، ويعود إليه مرة أخرى عندما يتوب؟**

غاية السؤال

لابد من الإجابة علي هذه التساؤلات معتمدين لا علي رأينا الشخصي، بل بالحري علي تعاليم الكتاب المقدس، لأن فيه يوجد حلول لكل المشاكل التي تواجه الإيمان الحقيقي.

وبالأكثر لن نسأل بعضنا البعض أية أسئلة تبدر إلي أذهاننا، لكننا نقدم فقط الأسئلة التي اللائقة النافعة. فما الهدف من سؤال التلميذ مثل هذا السؤال: **هل يفارق الروح القدس الإنسان أثناء وقوعه في الخطية ويعود إليه لحظة توبته؟ إلا إذا كان الهدف من ورائه معرفة كيف يتجنب الإنسان الخطية، وإذا وقع في الخطية، كيف يمكنه بسرعة رفضها، والعودة إلى التوبة؟**

والآن توجد أسئلة عديدة صعبة يمكن للشخص أن يسألها عن موضوع تجنب الخطية، وتوجد أيضا فخاخ عديدة مضللة يضعها الشيطان الذي يتسبب في وقوعنا في الخطية، والذي هدفه الأول هو خداعنا. وحينما يحقق ذلك يخترع وسائل تمنعنا من

الهروب من قيوده. وكما أن فكرة اقتناصنا في الفخ ثم عدم تحررنا من بعد الوقوع، هما هدفا العدو كذلك أيضًا فكرة عدم السقوط في الخطية والتوبة هما من أعمال النعمة.

أعود مرة أخرى باختصار إلى السؤال عما إذا كان الروح القدس يفارق الإنسان إثناء الخطية أم لا. وذلك لمنفعة هؤلاء الذين تحاوروا في تلك القضية أو لمنفعة الآخرين المحتاجين لمعرفتها.

سكنى دائمة

أثناء معموديتنا نلنا بنعمة الله الروح القدس في مياه المعمودية، ولكن الهدف مما نلناه ليس سكناه فينا فترات معينة ومفارقته لنا أحيانًا أخرى، وإنما لكي نكون هياكل له، وأن يسكن فينا دائمًا. كما قال القديس بولس الرسول: "أما تعلمون أنكم هياكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١ كو ٣:١٦). وأيضًا: "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله." (١ كو٦: ١٩-٢٠).

نعمة البنوة تترقب عودتك

إذا ما كنتم هياكل ومقادس لله بسبب روح الله الساكن فينا،

إذا لا توجد خطية، سواء كانت بالفعل أو بالفكر بمكنها أن تدمر هيكل الله. فالخطية التي نقع فيها بأي عمل تختلف عن جحد الله. فإذا ما فعلنا خطية ما (عن ضعف) يبقى إيماننا بالله غير مزعزع، وبالتالي لا نفقد بنوتنا لله كما هو الحال في الابن الطبيعي (بالجسد)، فمهما اخطأ الابن في حق أبيه، بالحقيقة أن الخطية حتى وإن كانت موجهه ضد الأب لا تبطل حقيقة أن يدعوه ابنه، ومهما سقط الابن في الخطية لا يحطم لقب "الابن"، طالما أن الأب لا يريد ان يحرمه منه.

وهكذا كان حال الابن الأصغر الذي بدد كل معيشته وصرف كل أموال أبيه بمعيشته مع الزواني، فبالرغم من ذلك لم يفقد كرامة لقب الابن الذي له (لو ١٥: ١) بل بالحري بينما لا يزال في أرض العبودية رافضًا أبيه، قال في نفسه: "كم من أجير **لأبي** يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعًا" (لو ١٥: ١٧). وبينما لا يزال خاطئًا، وبالرغم من أنه أخطأ إلى حد أنه صار في مهب الريح، مبددًا كل ميراثه الذي أخذه من أبيه إلا انه لا يزال يدعو الله أباه، وهذا يوضح أن نعمة الروح القدس التي تؤهله أن يدعو الله أباه لم تفارقه.

المعمودية والبنوة لله

من المؤكد أنه لا يمكننا أن نستخدم هذا الاصطلاح بأن ندعو الله "أبانا" إلا بواسطة قوة الروح القدس الساكن فينا، فمن المعروف أن هؤلاء الذين لم يصيروا بعد أولادا لله من خلال الولادة الثانية المقدسة بالمعمودية ليس لهم سلطان استخدام هذا الاصطلاح، ولا يُسمح لهم بالقول: "أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك". والسبب الرئيسي هو أن الروح القدس لم يسكن بعد فيهم ليعطيهم هذا السلطان.

ومن المعروف أيضًا أنه حينما يتقدمون للأسرار المقدسة يردد كل المعمدين حديثًا هذه الصلاة بكل ثقة، حسب التقليد المسلم لنا من الرب، ثم بعد ذلك يتقدمون للأسرار الإلهية.

الثبات في البنوة

من الواضح أننا كلنا سقطنا في الخطية، صغيرة كانت أم كبيرة، بالفكر أو بالعمل، فلا يوجد فينا أحد بلا خطية. فإذ كنا كلنا خطاة، فإذًا يكون الروح القدس قد فارقنا كلنا. فكيف لنا الجرأة أن نصرخ قائلين: "أبانا الذي في السماوات"؟ وأن نتقدم إلى الأسرار المقدسة؟ فإذا فارقنا الروح القدس بسبب خطيتنا، فبأي سلطان ندعو الله "أبانا"؟ وإذا فعلنا ذلك بدون سكنى روح الله فينا الذي يؤهلنا

لذلك السلطان، يعتبر هذا جريمة ضخمة، وتجديفًا على الله، ونكون قد تشبهنا بالذين بنوا برج بابل (تك ١١: ٩) لكي يصعدوا إلى السماء، أو ذاك (إبليس) الذي بكبريائه أراد أن يقيم من نفسه إلهًا، وينسب لنفسه كرامة لم تُعطَ له، ففقد حتى الكرامة التي كانت له.

ولكن في الحقيقة المؤمن الذي يدعو الله أبًا له أثناء الأسرار لا يفعل ذلك من تلقاء ذاته، بل الكاهن الذي يتقدم الشعب يسمح له بذلك. حتى الكاهن نفسه ليس له سلطان أن يدعو الله "أبًا" بل ولا يسمح للآخرين أن يقولوا ذلك لو رسخت فكرة مفارقة الروح القدس للخطاة.

الكهنة والشعب في حاجة إلى الذبيحة الإلهية

لا يوجد أحد منا أيا كان، كاهنًا أو من الشعب، في وضع يرجو فيه أن يكون متحررًا نهائيًا من الخطية، إذا كان ما يقوله بولس الرسول حقيقيًا: "لأنه يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلي من السماوات." (عب ٧: ٢٦)، وأيضًا يقول: "الذي له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب" (عب ٧: ٢٧)، فيمكن فهمها (خطأ) أنه بسبب أنه مذنب بالخطية فهو محتاج للتطهيرات بواسطة الذبائح كما كان

الحال أيام شريعة موسى أن كل كاهن يقدم ذبائح لله، أولاً يقدمها عن نفسه ثم عن الشعب، هكذا أيضًا في تدبير العهد الجديد يقدم الكاهن ذبيحة عقلية لله (رو ١٢: ١) عن نفسه ثم عن الشعب، ففي صلاته يسأل الكاهن أولاً عن غفران خطاياه وتطهير نفسه وجسده من كل الأفكار الخاطئة والأعمال، ويقدم كل كاهن تلك الصلوات لله بحسب درجة نقاوة نفسه، وبعد أن يكمل الذبيحة الإلهية، ويتمم الأسرار بحلول الروح القدس، لا يوزع الذبيحة الإلهية علي الآخرين قبلما يتناولها هو أولاً، لأنه في حاجة إليها، ويعلن أمام الكنيسة كلها أنه يتناول من الأسرار أولاً لكيما يتطهر ويتقدس بها. من ثم يبدأ في توزيع الذبيحة علي الآخرين، حتى ما تعمل الصلوات التي قُدمت أولاً عن نفسه وعن الآخرين.

لأنه إذا لم يكن قد قدم صلوات عن نفسه أولاً فلن يتناول من الأسرار أولاً. وبالتالي تشهد التقدمات أنه خاطي وكخاطي يتقدم من الأسرار لينال الغفران بها ويوزعها علي كل أحد في نفس موقفه.

الإفخارستيا دواء للكهنة والشعب كمرضى

وبسبب ذلك عندما يوزع الأسرار لهم يصرخ قائلاً: "جسد الله يعطي لمغفرة الخطايا ودم ابن الله يطهر من كل خطية". فهو

يعيد تلك الكلمات التي قالها الرب لتلاميذه عندما وزع الأسرار عليهم: "فيما هم يأكلون أخذ يسوع وبارك وكسر وأعطى التلاميذ، وقال: "خذوا هذا هو جسدي"، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦: ٢٦-٢٨). وهكذا عندما نتوب نتقدم من تناول الأسرار التي لمخلصنا، نتقدم كخطاة محتاجين، لأنه **لا حاجة للدواء ألا في حالة المرض** أو للشفاء إلا لمن هو مريض، لأنه: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (مت ٩: ١٢). فمن الواضح إذا أن من يتقدم إلى الأسرار ينال غفرانًا عن الخطايا أيا كان هذا الشخص، كاهنًا أو من الشعب. فإذا لم يكن الروح القدس ساكنًا فينا لأننا خطاة، فبأي سلطان يستدعي الكاهن الروح القدس (في سرّ الإفخارستيا) وأن يقترب الشعب من الأسرار؟

لو فارقنا الروح حين نقع في الخطية تفارقنا معموديتنا

يوجد جانب آخر، فإذا لم يسكن الروح القدس فينا إذًا يبطل عمل معموديتنا فينا، وكيف نقترب من الأسرار بدون معمودية؟

من الواضح أنه لو فارقنا الروح القدس حينما نقع في

الخطية تفارقنا معموديتنا أيضًا، لأن معموديتنا هي الروح القدس. فحينما قال الرب لتلاميذه: "لأن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير" (أع ١:٥). كان يتحدث عن الروح القدس الذي حلّ علي التلاميذ في العلّية في هيئة ألسنة نار، وهو يدعو الروح القدس هذا بالمعمودية لأن التلاميذ اعتمدوا بالروح فقط، إذ سبق لهم العماد بالماء علي يد يوحنا المعمدان.

هكذا أيضًا الحال بالنسبة لنا نحن المعمدين، فلا تغطيس الماء عندما نُعمد ولا زيت (الميرون) حينما نُمسح به يبقي بعد موتنا، ولكن الروح القدس فقط الذي امتزج بنفوسنا وأجسادنا بواسطة الماء والزيت يبقى فينا في كل من هذه الحياة وبعد مماتنا. **لأنه هو معموديتنا الحقيقية**، ولهذا نبقي دائمًا معمدين لأن الروح القدس يسكن فينا دائمًا.

خطية جحد الإيمان وحدها تنزع سكنى الروح

لا توجد خطية يمكنها أن تنزع عنا معموديتنا...

التجديف علي الله والتحالف مع الشيطان يمكنه أن يحقق ذلك، لأنه في تلك الحالة يفارق الروح القدس الإنسان، لأنه لا يوافق علي البقاء في مكان حيث يسكن الشيطان... "لأنه أية خلطة

للبرّ والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة، وأي اتفاق للمسيح مع بليعال، وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟" (٢ كو ٦: ١٤، ١٥)

ويمكننا القول ان ارروح القدس يفارق النفس التي حصلت عليه في المعمودية فقط بسبب تلك الخطية، أي أنه يفارق هذا الفساد، لأنه ليس صحيحًا أن ندعو تلك الأشياء خطايا عادية، لأن إنكار الله ليس فقط خطية بل هو تمرد واضح ضد سيادة الله، وحالة عداوة تشن حربًا مفتوحة ضده. فعندما يخطئ المواطنون في المدينة أو سكان أي بلد تحت حكم الإمبراطور ويتعدوا علي قوانينه في الخفاء أو علانية، ولكن لا يدمروا تماثيله أو يحرقوا صورته، فلا يُعتبر التعدي تمردًا، لكن إن حدث ذلك كنتيجة لإثارة القلاقل بين العامة، فإن القضاة في الحال يسيطرون على الموقف، ويعاقب المحرضين بالموت. وإن ظهر طاغية متمرد في المدينة والتف حوله الناس، متمردين ومحطمين كل تماثيل الإمبراطور وصوره التي تمثل حضوره وسلطانه علي المقاطعة أو المدينة، فإنهم بتلك الأفعال يرفضون الخضوع لسلطان الإمبراطور علي المدينة، ويُظهرون تمردهم علانية ضده. فمن الواضح أن الحالة مماثلة للذين يرفضون الله بعد اعترافهم بالإيمان بالمعمودية، فيقدمون ذبائح للشيطان أو يتعاونوا مع الناس الذين يمارسون أعمال السحر. لأنهم رفضوا قانون ملكهم الأول، وقبلوا حكم الطاغية الغريب،

فالروح القدس الذي نالوه في المعمودية يفارقهم كما هو الحال حينما يختفي الحكم الإمبراطوري في المدينة التي نصب فيها الطاغية المتمرد نفسه حديثًا.

يمكن أن يفهم ما قلناه من وجهة نظر معاكسة تمامًا، ففي وسط الوثنيين الذين يعبدون الأوثان والأشياء المصنوعة ومن بين الفلاسفة الذين صنعوا لأنفسهم اسمًا بين اليونانيين توجد فضائل عديدة يمكن اكتشافها، ففي بعض الحالات يوجد العدل أو الاستقامة، بل يوجد رجال انتصروا علي لذات الجسد أو لعنوا محبة المال، وفي آخرين يمكن أن نجد الحنان كعاطفة طبيعية، ولكن كل تلك الأشياء التي وُجدت فيهم كانت أشياء رفضها الشيطان الذي يعبدونه. والآن لا يرغب الشيطان أن يعرف أي أحد من أتباعه (عبيده) بفضائل صالحة، فحتى هؤلاء لم يفعلوا ذلك، لأنهم بتلك الفضائل صاروا متمردين ضده، **ولا يمكن القول أنهم رفضوا الشيطان وعرفوا الله فقط، لأنهم اقتنوا تلك الفضائل**، بل بالرغم من أن تلك الفضائل توجد فيهم إلا أنهم لا يزالوا يوصفون كوثنيين وعبده للشياطين، لأنهم في الحقيقة لم يرفضوا الشيطان ويقبلوا على معرفة الله.

لا تقدر خطية أن تنزع عنا معموديتنا

لنفترض اعترض أحد قائلاً أن الروح القدس يفارقنا بسبب بعض الخطايا، وحينما نتوب يرجع إلينا.

لو فارقنا من إذًا يعمل فينا حتى نتوب عن خطايانا؟

فالتوبة لا تتحقق بدون الروح القدس، وتصاحبها أصوام وأسهار وأعمال رحمة وصلوات واستمرار في محاسبة النفس وسكب الدموع دائمًا بأنات لا ينطق بها، كل تلك الأشياء نتيجة لنشاط الروح القدس كما قال بولس الرسول: "ولذلك أيضًا الروح يعين ضعفنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها، ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح. لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين" (رو ٨: ٢٦-٢٧). فنرى أن كل الحث الصالح الذي يقودنا إلى التوبة هو بسبب نشاط الروح. وأيضًا الصلاة النقية التي تقود كل حثّ صالح إلى الكمال يلتهب في نفوسنا هو بعمل الروح. وهو أيضًا بطريقة خفية يُنشئ فينا أنات تنطلق عند تذكر خطايانا.

الروح القدس يقدس حرية إرادتنا

إن فارقنا الروح القدس لحظة الخطية، فمن إذا يُنشأ فينا تلك المشاعر؟ ربما تقولون أنها صادرة عن إرادتنا الشخصية،

ولكن من هو الذي يحول إرادتنا إلى الصلاح؟ ومن هو الذي يساعدها علي تنفيذ الصلاح؟ أليس الروح القدس؟ ألا تسمعون ما يقوله بولس الرسول: "الآن الله هو العامل فيكم، أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته" (في ٢: ١٣)، فنرى أنه هو الذي يحول فينا إرادتنا إلى الصلاح، وهو أيضًا الذي يحقق تنفيذ إرادتنا.

يمكنك أن تعترض بأنه لا توجد إرادة حرة. حتمًا توجد إرادة حرة، لأنه بهذا يكون الإنسان علي صورة الله ومثاله (تك١: ٢٦). وتلك الإرادة الحرة لا تسقط تحت أي إلزام، لأنني لم أقل لكم أن الروح يلزم النفس على الصلاح، ولكنه يوجهها ويحثها علي ذلك. وقد يسأل شخص ما أين يذهب الروح عند الخطية، لأنه يرى أن الروح لم يمنع النفس من ارتكاب الخطية! يمكنك أن ترى بوضوح ما أعني بقولي أن الروح لا يلزم النفس تجاه الصلاح، ولا يستخدم أية قيود تمنعها من الشر، بل في كلا الحالتين يعطي الحرية لإرادتنا، يعمل ببساطة كشخص يحث علي أو ضد أي عمل.

لا يقودنا الشيطان للشر بقوة، ولا يجذبنا روح الله للصلاح بالإلزام، بل بالحري كلاهما شاهدان يحث كل منهما في الإتجاه الذي تميل إليه الإرادة. وكما أن نعمة الروح القدس التي نلناها من المياه تسكن فينا حينما نخطئ، ومهما كثرت خطايا

الشخص المعمد فهو لا يزال معمدا، ولا تمنع تلك النعمة إرادتنا من الخطية بأي نوع من القوة، لكنها تحزن علينا، وتؤنبنا سرا حينما نرى ميولنا اتجهت نحو الخطية، وإن عرف العقل كيف يستقبل هذا التأنيب ويهذب إرادتنا بتروٍ، يخضع لقبول هذا التحذير، عندئذ تُحجب الخطية، وتضيء النعمة في الحال، وتنيرها فتملأ العقل في الحال بالبهجة والفرح.

هذا ما يحدث طبيعيًا لمن يتغلبون علي الخطية في وقت الصراع ضدها. ولكن إن لم تسمع إرادة الشخص للروح الذي في الداخل، بل تجلب الخطية وتنشطها للعمل، ففي الحال يصبح مسكن النفس ظلامًا يخيم الاكتئاب عليه، ويمتلئ بالحزن والندم، ويكتسي وجه النفس بالخجل كما هو مكتوب:" ويحزن الروح القدس ويدير وجهه عن النفس".

لا تحزنوا الروح القدس!

يوصي بولس الرسول بهذا حينما يعطي هذه النصيحة: "لا تحزنوا الروح القدس الذي به ختمتم" (أف ٤: ٣٠)، وقد سمعتم كيف علمنا بولس عن أمرين: الروح القدس يبقى فينا عندما نخطئ ويكون حزينًا بسبب الخطية، فيقول: "لا تحزنوا روح الله الذي فيكم"، فهو فينا، وبعد ذلك يحذرنا إلا نخطئ، وبالتالي لا نحزنه،

ولا نطفئ العمل السري لنفوسنا، وكما يقول بولس الرسول في موضع آخر: "لا تطفئوا الروح" (١ تس ٥:١٩). أي لا تحزنوه بالخطية وإلا سينطفئ نوره من نفسك. هذا النور الذي عندما يضئ في داخلك، يهبك اقتناء قوة تفوق إدراك العقل، وتستطيع ان تصارع ضد "السلاطين والقوات" (أف ٦: ١٢)، وتحارب ضد الأرواح الشريرة تحت السماء وترفض العالم بكل ملذاته وأوجاعه، كل تلك الأشياء تتأثر بتوهج واشتعال الروح داخلنا، وبولس الرسول الذي أدرك القوة العاملة للروح يحذرنا في تعاليمه: "غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب". وأيضا: "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤).

إذًا عند وجود الروح القدس داخلنا، أي في المعمدين، لا يقيد الشخص الذي يريد أن يخطئ بالقوة، بل ببساطة يرشده ويحثه علي عدم فعل ذلك. ولا يهرب الروح من النفس الساكن فيها حينما تخطئ ويعود إليها عند التوبة كما يقول الجهال، بل بالحري يبقي فينا عاطلاً بلا عمل.

خطيتنا لن تؤذي الروح القدس!

لأي سبب يفارقنا عندما نخطئ يا عزيزي؟ كأن خطيتنا يمكن أن تؤذيه أو كأن قداسته قد اشتركت أو تلطخت بالتراب، أو كأنه لم يستطع منع الأذية عن نفسه بسبب خطيتنا عندما يكون فينا.

إن صح هذا يكون هو أيضًا متزعزعًا ومعرضًا للجراحات مثلنا، وهذا ابعد ما يكون عن الحق.

حين يحجب الروح القدس نفسه لا يفارق النفس!

ولأن الروح كائن في نفوسنا، وأحيانا يرجع من حيث أتى، وأحيانا أخرى يضيء حولها، ولكن حينما يحجب نفسه لا يفارقها، وعندما يضيء عليها لا يأتي من مكان آخر بعيد.

الروح القدس فينا كالنور الداخلي للعين!

لأنه كما يبقي النور الحقيقي المتعارف عليه في مقلة العين بعد أن تغلقها، ولا تستطيع أن ترى بها، لأن الجفن يغطيها، ولكن في حالة فتح العين ترى بالنور الذي كان فيها كل الوقت مصاحبًا النور الذي من الخارج، وهكذا هو الحال في الروح الساكن في نفوسنا كما هو في النور الذي في مقلة العين، فإن أهمله الإنسان بالتجاهل ــ كما هو الحال في تغطية الجفن لمقلة العين ــ وبالرغم أن الروح لا يزال ساكنًا في النفس لا نستطيع أن نرى به. ولكن إن تركنا عنا التجاهل وطرحناه عن عقولنا ووجهنا بصير إرادتنا الواضحة نحو النور الروحي الساكن فينا، ففي الحال يجلب النور نورًا كما هو الحال في نور الشمس والنور الطبيعي الكائن في العين ومن خلال اتحاد الاثنين تصير الرؤية مستنيرة.

الروح القدس ليس متفرجًا!

ليس صحيحًا أن نتحدث عن مفارقة الروح وقت الخطية والعودة مرة أخرى وقت التوبة، لأننا بذلك نظهره كضعيف وجبان، يفارقنا واقفًا من بعيد متفرجًا حتى نتوب عن الخطية، وبعد ذلك إذ نكون في حالة برّ مرة أخرى يعود ليسكن فينا. فحقًا أية فائدة لي لو سكن في بعد ان أكون قد تبررت؟ لأنه لو لم يكن موجودًا أثناء سقطتي يمد إليّ يده ويقيمني مرة أخرى علي قدمي، فكيف أتمتع بمعونته؟!

الروح القدس الطبيب الحاضر!

هل يترك الطبيب المريض عندما يرى سقوطه في المرض، فيفارقه ويعود إليه حينما يستعيد صحته؟ لا، بالحري عندما يمرض المريض يكون الطبيب حاضرًا مستعدًا بتأهب، ولكن حينما يشفي المريض لا يحتاج إلى الطبيب الذي ينتقل إلى عمل أخر.

لو كان رأي هؤلاء الجهال صحيحًا أن يترك الروح النفس، فإنه في حالة الشفاء يكون صحيحًا لو فارقنا أكثر مما هو الحال وقت المرض، لأنه بحسب كلام الرب: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب" (لو ٥:٣١)...

الروح القدس والارتداد عن الإيمان!

فالنفس في كلا الحالتين، وقت المرض ووقت الشفاء، تحتاج لبقاء الروح قريبا منها، فالروح الذي لبسناه في المياه لا يمكن خلعه مرة أخرى إلا من خلال الارتداد وحده. لأنه إن كان بالإيمان لبسنا الروح، فمن خلال إنكار الإيمان يمكن خلعه. فنرى أن الإيمان والارتداد مضادان كالنور والظلمة.

الروح القدس حياة النفس!

الروح القدس الذي نلناه من الله هو حياة نفوسنا، لهذا أُعطي للرسل علي شكل المسحة ومن خلالهم لجميعنا. لأنه بدلاً من نفوسنا الأصلية نلنا الروح بهدف أن يصير نفسًا لنفوسنا كما أن نفوسنا هي نَفَس لجسدنا. فالروح الأصلي الذي ناله آدم بنفخة الله كما هو مكتوب: "ونفخ في انفه نسمة حياة، وصار آدم نفسًا حية" (تك٢:٧). وفي العهد الجديد: "ولما قال هذا نفخ وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه، تُغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت." (يو ٢٠: ٢٢-٢٣). فالروح الذي يغفر الخطية كيف يهرب من الخطية؟ لذلك ليس صحيحًا أن نتكلم عن الروح أنه يفارقه أمام وجه الخطية، بل بالحري تهرب الخطية من وجود الروح. لأن الظلمة لا تطفئ النور، بل النور هو الذي يبدد الظلمة.

وهكذا لا يهرب الروح من الخطية، بل الخطية تهرب من أمام تواجد الروح.

سكنى الروح والرجاء في المغفرة

فإذا كان الروح القدس نفسًا لنفوسنا ولهذا السبب أُعطى لنا بالنفخ ــ كما هو الحال لنفس آدم الأول ــ إذا من الواضح أنه إن فارقنا الروح تموت نفوسنا في الحال كما يموت الجسد لحظة مفارقة النفس الساكنة فيه، وكما لا يحتاج الجسد للدواء لحظة الموت بسبب مفارقة النفس له، لأنه لا أمل منه في الشفاء. فالعين المريضة لا يمكن شفائها، والقدم المكسورة لا يمكن تجبيرها، ولا اليد العاجزة تعتبر صحيحة، ولا أي جزء من الأطراف المريضة يمكن أن ينال العلاج أو الشفاء، لأن الجسد حُرم من الحياة التي هي قادرة فقط علي نوال الشفاء، هكذا هو الحال مع النفس التي تفارقها الروح القدس تصير مثل جثة الجسد غير قادرة علي نوال الشفاء من أي خطية من خطاياها لأنها لا تحمل في داخلها حيوية الروح القدس. كيف يمكن للدواء أو أي علاج أن يعمل في شيء فقد كل قوة الحواس؟ هل رأيت طبيبًا يعالج جثة أو يجبر قدمًا أو يدًا مقطوعة ومنفصولة عن بقية الجسد؟ هكذا الحال من النفس إن فارقت حيوية الروح القدس الذي نلناه بالمعمودية فلا رجاء أو أمل لها في الشفاء ولا يمكن أن تنال غفران لخطاياها.

قبل المعمـــودية يُدعي الشخص الإنسان العتيق (أف٤: ٢٢)، ولكن بعد المعمودية يصير إنسانًا جديدًا (أف ٤: ٢٤). فالآن الروح القدس هو النفس الساكن في الإنسان الجديد ويبقي ليس فقط إثناء حياة الجسد بل بعد موته وفي حالة القداسة يصنع معجزات ويترك آثارًا. لأن عظام الأبرار مثل الرسل الشهداء والقديسين لا يوجد فيها النفس الطبيعي الذي فارقهم عند موتهم ولكن لا تزال أجسادهم تحمل الروح القدس الساكن فيها والروح هو الذي يعمل عجائب فيهما وتصرخ الأرواح الشريرة بمرارة بسبب قوة الروح الذي فيها وتطرد الأمراض والأتعاب.

القيامة وقوة الروح القدس

في زمن القيامة حينما تعود النفوس للأجساد تجد الروح القدس فيها لأنه لم يفارقها قط، ولا يمكن أن يحدث هذا منذ أن نالوه في المياه. فقيامتنا أيضًا ستحدث بواسطة قوة الروح القدس الساكن فينا، ولأن الروح القدس ساكن في المؤمنين عندما يموتون لا يمكن أن ندعو انتقالهم موتًا بل هو فقط نوم. "ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم" (١ تس ٤: ١٣).

وبالتالي فلا يوجد الروح القدس في الوثنيين واليهود، ولهذا السبب عندما يموتون، فإنهم حقا يموتون وليسوا فقط نياما. وبالتالي لا تُعطَ كرامة لدفن أجسادهم، ولا تُتلى المزامير والألحان عند اصطحابهم للقبر، لأنهم بالحقيقة أموات، ولا يوجد فيهم حياة. وعلي عكس ذلك موت المؤمن المعمد حتى ولو كان خاطئًا... فان مات في الإيمان ولم ينكر معموديته ولم ينزع مسحة المعمودية بمسحة الشيطان، فعند مفارقة نفسه عن جسده في الموت الطبيعي، نأخذ جسده للقبر، ونتعامل معه، كأنه حي لكنه نائم. والسبب في ذلك واضح جدًا وهو الروح القدس الذي ناله بالميلاد الثاني في بطن المعمودية ولم يفارقه. لأن الرب قال: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥). فالخطاة غير المعمدين لا نصطحب أجسادهم بكرامة للقبر، وما الحاجة لترانيم الألحان إن لم يكن الروح القدس هناك؟ ولماذا يدعو بولس الرسول الخاطئ بالنائم إذا كان ميتًا؟

إذا ما قلنا كلمات النبي القائل: "إني لا أسر بموت الخاطئ، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا" (حز ٣٣: ١١) ونقول أن هذا يشير إلى موت اليهود الخطاة، ولهذا السبب قيل أيضًا لحزقيال: "يا ابن آدم قد جعلتك رقيبًا لبيت إسرائيل" (حز ٣: ٧)، فسأجيب أنه من الواضح جدًا أن الكلمات موجهه لليهود لأن

حزقيال قد أُرسل إليهم في ذلك الوقت، واليوم أيضًا بعد مجيء مخلصنا تنطبق الكلمات على الوثنيين واليهود الذين آمنوا ولكن أنكروا الإيمان بعد ذلك. فكلمات النبي تنطبق على الذين اخطأوا ولم يدركوا خطاياهم لأن الخاطئ الذي نال المعمودية حتى وإن مات من جهة نفسه لأنه لم يدرك خطاياه ولكنه حي في نظر الله بسبب نعمة المعمودية التي فيه بسبب الكلمات: "وليس هو إله أموات، بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء" (يو ٢٠: ٣٨)، لأنهم كلهم أحياء فيه.

الذي نال المعمودية حتى وإن مات من جهة نفسه، لأنه لم يدرك خطاياه، لكنه حي في نظر الله بسبب نعمة المعمودية التي فيه حسب الكلمات: "ليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء" (لو ٢٠: ٣٨)، لأنهم كلهم أحياء فيه.

الروح القدس والتقرب من الأسرار

كيف يمكن أن يقترب الخاطئ من الأسرار الإلهية لو أنه لا يحمل الروح القدس فيه، الذي يؤهله للتقدم إليها؟ لأنه كما أنَ الشخص الغير معمد لا يُسمح له بالتقدم للأسرار، هكذا سينطبق الحال علي الإنسان الخاطئ، لو كان صحيحًا ان الروح القدس يفارق الخطاة الذي هو رأي الجهال والذين يقولون أنه غير مسموح

لهم التناول من الأسرار. لو لم يستطع الخاطئ التقرب من الأسرار فمن إذًا يمكنه ذلك؟ وماذا عن كلمات: "هذا هو جسدي... هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي **يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا**" (مت ٢٦: ٢٦-٢٨). فهل يمكن السماح لشخص غير معمد التقرب من الأسرار؟ ولكن إن فارق الروح الإنسان لحظة الخطية فستفارقه المعمودية أيضًا، وإن فارقته المعمودية وصار غير معمد، فبالتالي لا يُسمح له بالتقرب من الأسرار. وإن لم يتقدم للأسرار، فكيف يمكنه نوال الغفران، وكيف يوجد هناك توبة إن لم يوجد غفران؟ وإن لم توجد توبة عن الخطية، كيف يمكن أبدًا أن يعود الروح القدس كما يقولون أن هذا يحدث؟ رفض ربنا بوضوح مثل هذا الرأي حينما قال: "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو٦: ٥٤). فالآن كلما نال الخاطئ جسد الرب ودمه، فبالإيمان هو ثابت في الرب، والرب ثابت فيه، كما قال ربنا بنفسه، وحينما يسكن ربنا هناك يكون الروح أيضًا.

فلو كان بسبب برنا الشخصي نلنا الروح القدس من المياه إذًا لعمل الروح بالعدل وفارقنا وقت الخطية. ولكن لأنه بالنعمة قد أُعطي لنا الروح، فلذلك **بقاؤه فينا أيضًا هو عطية النعمة**.

فبالقدر الذي نلناه من مياه المعمودية ووهبنا في الحال مغفرة الخطايا أهلنا لنعمة البنوة لله، وهكذا أيضًا الآن طالما أمنا أنه ساكن فينا، نتقبل التأنيب ضد خطية، فإن حدث أن سقطنا في الخطية نتوب بسرعة بفضل مساعدة قوته.

لأننا لم ننل نعمة تؤخذ منا أو تتغير كما كان الحال مع اليهود. وما قيل لهم لا ينطبق علينا عندما قيل: "أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون" (مز ٨٢: ٦-٧). والسبب أنهم نالوا نعمة العبودية لله، بينما نلنا نحن نعمة البنوة التي لا تتغير كما يعلمنا بولس الرسول: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ: أبّا أيها الآب" (رو ٨: ١٥). فترى الحقيقة أننا ننادي الله كأبانا الذي في السماوات وقت التقدم من الأسرار الإلهية بسبب النعمة المعطاة لنا بالروح، لأننا نلنا كما يقول بولس: "به نصرخ: أبّا أيها الآب" (رو ٨: ١٥)، لأن الروح هو الذي يؤهلنا أن ندعوه الله "أبانا". في تلك اللحظة هؤلاء الذين يدعون الله أبانا وينتظرون نوال الأسرار كلهم خطاة. بسبب الخطايا التي ارتكبناها منذ المعمودية ننال الأسرار بمواظبة، ونحن كلنا خطايا ندعو الله أبانا في تلك اللحظة. ومن الواضح أنه بسبب سكنى الروح فينا وهبنا السلطان لعمل ذلك.

يظهر نعمته في لحظة الخطية

بالتالي قد أثبتنا من كل وجهات النظر أن روح الله لا يفارق المعمدين عند الخطية، بل بالحري يبقى فيهم حتى يظهر نعمته في لحظة الخطية حتى تصير النهاية مثل البداية (نهاية هذا الشخص كابن لله كبدايته في الإيمان والعماد)، وتتحقق كلمات بولس الرسول: "ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد" (أف ٢: ٩).

لقد كتبت كل هذا باختصار للرد علي هؤلاء الذين لديهم أفكار غير صحيحة عن عمل نعمة الروح القدس ويدعون ضعفه وعدم فعاليته للإنسان.

ولكن أيها التلاميذ هل تؤمنوا أن الروح القدس الذي تلتموه في المعمودية ساكن فيكم ولن يفارقكم؟ فتذكروا أن حضوره سيمدكم بالتحذير. اهربوا من كل أسباب الخطية، كي لا تتسلل إلى أفكاركم، فتثمر ارتكاب الخطية. فإن هاجمكم النوم والغفلة استيقظوا في الحال، وإن وقعتم في الخطية أسرعوا بتصحيح أنفسكم من السقطة، صارخين في وجه من تسبب في هذه السقطة قائلين كلمات النبي: "لينتهرك الرب" (زك ٣: ٢)، لأن الذي يبرر هو قريب جدًا، أي الروح القدس، الذي أُعطي لي من عند ربي مرة واحدة وإلى الأبد لحفظ حياتي، الذي له المجد مع أبيه الآب والابن الآن وكل أوان. آمين.

لمحات عن حياته

- وُلد في منتصف القرن الخامس.
- اسمه السرياني قبل الأسقفية أخسنايا، باليونانية " كسينوس" Xenaias ومعناه "غريب". دُعي عند توليه الأسقفية "فيلوكسينوس"، أي "محب الغريب".
- أثار يزوجرد الثاني ملك الفرس (٤٣٨ـ٤٥٧) اضطهادًا عنيفًا على المسيحيين، بلغ عدد الشهداء... ١٣٣ نسمة، بسببه هربت العائلة إلى طور عبدين، وكان أخسنايا صبيًا. وإذ بلغ سن الشباب انفرد في مكان يبعد عن أهله مسافة نصف ميل، يعيش في كوخ صغير يمارس فيه حياة الخلوة مع اللّه، ممارسًا حياة النسك والتأمل ومناجاة اللّه.
- أُعجب بنظام دير قرتمين الشهير والحياة فيه، فالتحق بمدرسته مع أخيه أدى حيث درس الآداب السريانية واليونانية والعلوم الدينية. وإذ لمع نجمه وظهرت تقواه، صار رئيسًا للمدرسة، ولُقب برئيس الملافنة.
- ما بين سنتي ٤٥١ و ٤٥٧ انضم أخسنايا وأخوه إلى مدرسة الرُها الشهيرة، وكان رئيسها يومذاك المعلم نرساى، فأتم أخسانيا دراسته للعلوم الفلسفية واللاهوتية، لكنه استنكر هو

وأخوه مع غيرهما المبادئ النسطورية التي تشبث بها أساتذة المدرسة ومعظم تلاميذها.

- انتقل أخسنايا إلى مدرسة دير تلعدا الكبير المشهور، فنبغ في السريانية واليونانية، وصار من أئمة المدرسة، ثم ترهب وسيم كاهنًا.
- اصطدم الكاهن أخسنويو مع النساطرة والخلقيدونيين، وإذ عجزوا عن الوقوف أمامه بالحجة اشتكوه لدى الملك زينون أنه انحرف عن الإيمان. سأله الملك أن يقدم له صورة إيمانه.

استغل الكاهن هذه الفرصة ليكتب رسالة مطولة: "في تجسد الإله الكلمة وتأنسه" كشف فيها عن الإيمان المستقيم وردّ فيها على الهرطقات خاصة الأريوسية والسابيلية والأوطاخية والنسطورية. تحدث بإسهاب عن الطبيعة الواحدة بالمفهوم الأرثوذكسي ليميزها عن المفهوم الأوطاخي، وشجب الثنائية النسطورية بكل وضوح، وختم رسالته بقوله:

[اتني أحرم نسطور المنافق، وتعليمه الذي يميز طبيعتين وأقنومين في المسيح الواحد، وينسب العجائب إلى اللّه، والآلام إلى الإنسان، وينكر جهرًا سياسة الكلمة (الخلاصية) الذي تأنس.

أحرم إلى جانب هذا، أوطيخا أيضا المبتدع ورأيه، ذاك

الذي ينكر التجسد الحقيقي الذي صار للإله من العذراء، ويعتبر سرّ تجسده خيالاً.

وفيما أنني أحرم هذه التعاليم، أقبل الأسفار القدسية، وأسلك وفقًا لتقليد الآباء الذين تسلمت منهم الإيمان الحق الرسولي، الذي بواسطته استحققت الحياة والحرية والتبني مع جميع المعتمدين...]

❖ كانت منبج أو هيرابوليس *Hierapolis* من أهم إيبارشيات أنطاكية، يخضع لها أحد عشر أسقفًا، وقد بذل النساطرة كل جهدهم لتقويضها. إذ شعر بطرس القصّار Peter the Fuller بخطورة هذه الإيبارشية سام أخسنايا مطرانًا عليها في عام ٤٨٥ باسم "فيلوكسينوس". شمر المطران الجديد عن ساعده ليعمل بروح الرب على تنقية الجو الكنسي من الأفكار النسطورية، مساندًا البطريرك بطرس القصّار. هذا وقد نجح البطريرك في إقناع أساقفته لقبول الهينوتيقون لزينون، وأن تُذكر "والدة الإله" أو "الثيؤتوكوس" في كل خدمة.

❖ أخيرًا فهو رجل الآلام الذي احتمل الكثير من أجل تمسكه بالعقيدة، مواجهًا تيارات كثيرة انتهت بنفيه إلى فيليبوبليس Philippoplis في تراقيا Thrace (ولاية أدرنه) ببلغاريا، واستشهاده مخنوقًا في بيت أشعلوا فيه النيران.